

مع شعراء عصره :

عاصر النبأى عددا كبيرا من فطاحل الشعراء لكنه بذهم جميعا ، ومع ذلك فقد كان شديد النفور من الإنشاد فى المحافل العامة ، أو الوقوف بأبواب الدولة والسلاطين⁽¹⁾.

يحكى أن الوزير الفالوذجى استدعى النبأى ذات يوم ، وعرض عليه أن يقدمه إلى بلاط (زند الدولة) ولكن يعج بالشعراء ، ولكنه رفض ، فقال له : " إذا كنتم لا ترغبون فى نفع أنفسكم ، فلماذا لا تعملون حسابا لأسرتكم ؟! " فرد النبأى قائلا : " لقد توفيت الوالدة بعد الوالد ، وانقطع عنى خبر العم والخال ، والمزوجة مريضة لا تأكل ولما تشرب ، وابنى الوحيد مرزوق ، قد ترك البيت ، وذهب للعمل فى السوق .. فعلام السعى والاندفاع ، وتعفير الوجه برؤية الأنطاع ؟! " فقال له الوزير : كأنك تقصدنى يا شاعر السوء ! " . ونهض فنهض بنهوضه جميع من كان فى المجلس ، وتركوا النبأى وحده يهمس : لقد سألتنى الوزير فأجبت ، ولو أنه لم يوجه لى السؤال ما نطقت ! " !

ولاشك أن هذه القصة تشير إلى أمر غاية فى الأهمية ، وهو أن الوزير الفالوذجى ، وكان خبيرا بأقدار الشعراء ، لم يستدع النبأى أصلا ، ولم يعرض عليه تقديمه إلى بلاط زند الدولة إلا لعلمه بمدى قدراته الشعرية ، وإدراكه الشديد لما كان يتمتع به شاعرنا من طاقات بلاغية متميزة .

أما شعراء مدينة نباح ، وكانوا لحسن الحظ يقولون ما لا يفعلون ، فقد كانوا يمقتون النبأى أشد المقت ، ويتحينون الفرصة للنيل منه ، وفى إحدى الليالى ، اجتمعوا فى دار أحدهم ، وأجمعوا على التخلص من النبأى .

وقد اقترح أحدهم أن يسرقوا حمارة الوحيد ، لكى يمنعه من التنقل بين دكاكين المراقين .

وقال آخر : " بل نحفر أمام بيته حفرة عميقة ثم نغطيها بالقش وعيدان القصب ، فإذا خرج وقع فيها وتخلص الجميع منه . "

وذهب ثالث : إلى أن يحرقوا بيته ، فتأتى النار عليه وعلى أشعاره ⁽¹³⁾ .

ولما أعيتهم الحيلة ، قرروا أخيراً أن يشيعوا بين أهل المدينة أن النبأى قد جن ، وأن عقله قد اختل .. وعندما سمع الناس بالخبر ، تواضدوا إلى بيت النبأى ضاربين كفا بكف ، وهم يكبرون ويهللون وعلت هتافاتهم قائلين : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

وحين سمع النبأ حتى تلك الجلبة ، اعتدل جالسا وكان متكئا على وسادة من القش ، وسأل : علام هذه المضجة ؟ فقالوا : الناس بالبباب يسألون ، وهم لأحوالك متطلعون . فخرج إليهم ، ووزع البشر عليهم ، وتحدث معهم على أكمل ما يكون من العقل الرشيد ، والمنطق السديد .. فرجعوا وهم يتعجبون من سموه الإشارات ، حين تطلقها ألسنة الحيات !⁽¹⁴⁾ .